

240423 – هل صحت قراءة : (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) بِالْجَرِّ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ ؟

السؤال

هل صحيح أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قرأ قوله تعالى: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) بجر كلمة "رسوله"؟ فقد احتج أحدهم بهذه الرواية للزعم بأن الإعراب لا فائدة منه، فكلمة "رسوله" قرئت بالرفع والنصب والجر، وإذا كانت رواية قراءة الحسن رضي الله عنه صحيحة، فهل يصح أن يقال: إن كلمة "رسوله" جُرت بالمجاورة كما زعم بعضهم؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قال الله تعالى :

(وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) التوبة/ 3

والمعنى : أن الله برئ من المشركين ، ورسوله برئ منهم .

وقد قرأ جماهير القراء هذه الكلمة : (ورسوله) بالضم ، على الابتداء ، وخبره محذوف ، والتقدير: "وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ".

وقرئ (ورسوله) بالنصب، عطفًا على لفظ الجلالة المنصوب به (أَنَّ) .

وقرئ – شاذًا – (ورسوله) بالخفض ؛ على إرادة القسم ، أو المجاورة .

وهذه قراءة شاذة ، رويت عن الحسن البصري – وليس الحسن بن علي – ولا تصح عنه ،

ولا تجوز هذه القراءة عند العلماء ؛ لأنها توهم أن الله بريء من المشركين ، ومن رسوله ، وهذا باطل محال، واعتقاده كفر.

وفي القول بالخفض هنا على الجوار ، أو القسم : تكلف واضح ، لا حاجة إليه ما دامت القراءة لم تثبت .

قال أبو حيان رحمه الله في "البحر المحيط" (5/ 367):

" قَرَأَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَعَيْسَى بْنُ عَمَرَ ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ : (وَرَسُولُهُ) بِالنَّصْبِ ، عَطْفًا عَلَى لَفْظِ اسْمِ أَنْ . وَأَجَازَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ .

وقرئ بِالْجَرِّ شَاذًا ، وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ . وَخَرَّجَتْ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى الْجَوَارِ ، كَمَا أَنَّهُمْ نَعْتُوا وَأَكْدُوا عَلَى الْجَوَارِ . وَقِيلَ: هِيَ وَאוּ الْقَسَمِ .

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالرَّفْعِ فَعَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ أَي: "وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ" ، وَحُذِفَ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ " انتهى .

وقال ابن عاشور رحمه الله:

" وَعُطِفَ (وَرَسُولُهُ) بِالرَّفْعِ ، عِنْدَ الْقُرَاءِ كُلِّهِمْ: لِأَنَّهُ مِنْ عَطْفِ الْجُمْلَةِ، لِأَنَّ السَّامِعَ يَعْلَمُ مِنَ الرَّفْعِ أَنَّ تَقْدِيرَهُ: "وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"، فَفِي هَذَا الرَّفْعِ مَعْنَى بَلِيغٌ مِنَ الْإِيضَاحِ لِلْمَعْنَى ، مَعَ الْإِبْجَازِ فِي اللَّفْظِ، وَهَذِهِ نَكْتَةٌ قُرْآنِيَّةٌ بَلِيغَةٌ.

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ لَهُ: مَا فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ قِرَاءَةً (وَرَسُولِهِ) - بِالْجَرِّ - وَلَمْ يَصَحَّ نَسْبُهَا إِلَى الْحَسَنِ . وَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ جَرُّ (وَرَسُولِهِ) ، وَلَا عَامِلٌ يَقْتَضِي جَرَّهُ؟! " انتهى من " التحرير والتنوير" (109 / 10) .

وقال الشوكاني رحمه الله :

" قَوْلُهُ: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)

وَقُرِئَ (وَرَسُولِهِ) بِالْجَرِّ عَلَى أَنَّ الْوَاوَ لِلْقَسَمِ ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ ضَعِيفَةٌ جِدًّا، إِذْ لَا مَعْنَى لِلْقَسَمِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاهُنَا ، وَقِيلَ إِنَّهُ مَجْرُورٌ عَلَى الْجَوَارِ " .

انتهى من " فتح القدير " (381 / 2) .

وقال الشيخ عبد القادر العاني رحمه الله:

" (رسوله) مرفوع، وقراه بعضهم منصوبا ، عطفا على لفظة الجلالة ، أي أن الله بريء ، وأن رسوله بريء منهم.

ولا تجوز قراءة الجر على زعم الجر بالتوهم أو بالمجاورة أو بالتبعية " .

انتهى من " بيان المعاني " (405 / 6) .

وقول القائل : " أن الإعراب لا فائدة منه " نظرا لتعدد القراءات في الآية الواحدة ، فيقال من جوابه : " بل تعدد القراءات أدل على أهمية الإعراب ، وأدعى للعناية بالعربية وعلومها ! فإنه إذا كانت هذه القراءة صحيحة ، فالإعراب وعلوم العربية هي التي تبين المعنى الصحيح لذلك، وتنفي الباطل ، وترفع الإشكال . وإن كانت باطلة ، فلا وجه للاحتجاج بها ، ثم إن بطلانها من حيث المعنى ، يتوقف على معرفة العربية والإعراب أيضا .

قال ياقوت الرومي رحمه الله : " وبعد فهذه أخبار قوم أخذ عنهم علم القرآن المجيد، والحديث المفيد وهم أنهجوا طريق العربية ، وأناروا سرجه المضية وبصناعتهم تنال الإمارة ، وببضاعتهم يستقيم أمر السلطان والوزارة، وبعلمهم يتم الإسلام ، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام. ألا ترى أن القارئ إذا قرأ (أن الله بريء من المشركين ورسوله) - بالرفع - فقد سلك طريقا من الصواب واضحا، وركب منهاجا من الفضل لائحا، فإن كسر اللام من **رسوله** كان كفرا بحتا وجهلا قحًا ؟" انتهى ، من "معجم الأدباء" (1/10) .

وقد قيل : إن هذه القراءة ، كانت السبب في وضع علم النحو . " قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ عَنِ عَلِيِّ الْعَرَبِيِّ، فَسَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) - بِكَسْرِ اللَّامِ بَدَلًا عَنْ ضَمِّهَا - التَّوْبَةَ/ 3 ، فَقَالَ: " مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَمْرَ النَّاسِ قَدْ صَارَ إِلَى هَذَا " - انتهى من "النبلاء" (4/83) ، وانظر : "معجم الأدباء" (4/1466) .

وينظر قصة قريبة منها ، لعمر بن الخطاب ، مع أعرابي قرأ الآية بالجر في "نزهة الألباء" ، لابن الأنباري (19-20) .

والله تعالى أعلم .